المريف بن اموتس : ألا تخجل من ذلك. كيف تجيء الى تل ابيب دون تصريح ؟ . فأجاب محمد وتد وهو يعاني الحرقة على الديمقراطية المهدورة : « انني اعارض كم افواه العرب من الكتاب، ولكنني لا استطيع ان اضمن سلفا ان ما يكتبون لا يشكل تحريضا » !

هذه الواقعة تنبيء عن المهام التي تضطلع بها مثل هذه اللقاءات ، التي لا تخترق من جهة العرب سقف المطالبة بالغاء الاعتقالات الكيفية وقيود التنقل والاقامات الجبرية .

ما الذي تفعله مثل هذه اللقاءات ؟. انها اذ تثبت — في طموح الكتاب العرب — النزعة الشوفينية للدولة الاسرائيلية ضد العرب ، واليهود كذلك ، فانها تطمس بما لا يدع مجالا للشك ، طبيعة التكوين الصهيوني الامبريالي للدولة ، وتلقي ستارا على هذا التكوين . بينما تتخذ اسرائيل من ذلك مناسبة لتأييد نزعتها « الديمقراطية » ، سيما وان اطراف الحوار من الاسرائيليين هم من اعضاء الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) الذي يقف مع اسرائيل في نضالها ضد « الرجعيات العربية والمستفيدين من آلام الشعب الفلسطيني » . الاهم من ذلك كله هو توقيت هذه اللقاءات . فبعد هزيمة حزيران ، بدأت الجماهير الفلسطينية تناضل بشكل متسع ، لحسم تناقضها الصدامي مع اسرائيل . ومن آفاق هذا النضال ، التهاب الداخل ، وجذب العناصر الاسرائيلية المضطهدة . ومن شأن هذه اللقاءات في اجود الاحوال ، ان تصرف انظار الجماهير العربية في الداخل عن تناقضها القومي والطبقي مع الدولة الصهيونية ، ودفعها للاستمرار بالاعتراف بالمؤسسات الصهيونية ، كأدوات لتغيير بنية الدولة ، كما يفعل اميل حبيبي « بنضاله » من اجل عضوية الكنيست ، وتوفيق زياد في سبيل تسلم رئاسة بلدية الناصرة لشق طرق جديدة في البلدة والتخفيف من غلواء المخاتير . ان الامر يتضمن بهذه الصورة مساومة فادحة . فالدولة التي انشئت بالارهاب ورؤوس الاموال ونفوذ الاستعمار البريطاني على الحساب الكامل لحق شعب كامل ، تستمد اسباب بقائها ونموها من الارتباط العضوي بالامبريالية الاميركية وغيرها ، كما تستخدم عسكرة الجماعات اليهودية وتربيتها تربية عنصرية وسيلة اساسية لتذويب العناصر العربية ، وعزلها عن ولائها الوطني . وهذا هو الواقع الراهن . وليس « النضال في سبيل الديمقراطية » سوى حجة ذهبية تتخذها الدولة لمحو صورة الاستلاب القومي في الداخل ، وعلى صعيد الرأي العام العالمي التقدمي . وفي ذلك ايضا غطاء مطلوب لعملياتها التمعية ضد المقاومة ، التعبير السياسي الوحيد عن عدالة القضية الفلسطينية .

هل تفترق وجهة نظر محمود درويش بصدد هذه اللقاءات عن غيره من الشعراء العرب ، اعضاء حزب راكاح ؟ ان وجهة نظره هي التعبير المثالي الكامل عن موقف زملائه ، بحكم كونه رئيسا لتحرير « الجديد » حتى مغادرته الوطن . ومنطلق وجهة نظره « النضال من اجل تغيير السياسة الاسرائيلية الرسمية تجاه المواطنين العرب في اتجاه منحهم المساواة التامة في الحقوق والنظر اليهم كمواطنين لا رعايا » . وعلى صعيد ادبي — حرية التعبير — فان « الاديب العربي في اسرائيل يدافع عن كرامة شعبه. انه يتمسك بطابعه القومي دون ان يتصادم ذلك مع كونه مواطنا في اسرائيل . نحن لسنا مذنبين ، لاننا نحمل بطاقة هوية اسرائيلية . ومنحنا هذه البطاقة ليس منة . انه حق » .

وبصفته مواطنا اسرائيليا ، يحدد الشاعر محمود درويش المقيم في القاهرة حاليا موقفه من المقاومة « قلنا بوضوح وصراحة : يؤسفنا ان تنسف البيوت ويقتل الاطفال والنساء والمدنيون الآمنون في حيفا او مستوطنة يهودية . ولكن اسمحوا لنا ايضا ان نأسف لنسف البيوت العربية وقتل المدنيين العرب. اننا نعارض مثل هذا الارهاب من الجانبين » .

كيف يصبح الامر في عرف « شاعر المقاومة » عندما ترد اسرائيل (حسب منطق وجودها واستمراره الذي يعترف به درويش مبدئيا) على « الارهاب العربي » ؟. ان الاخلاق الديمقراطية هنا ، لا تسعف موقفا سياسيا ، من الخطأ الفادح الواقع فيه باصرار واختيار . وهو موقف بالبداهة مناهض ومناقض لمقاومة الشعب الفلسطيني ، ومنسجم مع قرار مجلس الامن وقبول الطرف السوفياتي بعد الاميركي للقرار .

هل يسقط موقفنا هنا في التبسيط ؟. لقد لعب الشعراء العرب في ظل ظروف الاضطهاد المتنوعة ، دورا حيويا واساسيا قبل هزيمة حزيران ، وابان تخلف الحركة الوطنية في العالم العربي ، في اثارة المشاعر القومية لدى الجماهير العربية في فلسطين. دافعوا ليس عن الحقوق الثقافية بل كافحوا في